حكايات تراثية

٥

وبالقرب من نبعة الماء

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

ماْ أَجْمَلَ أَيَّامِ الرَّبِيْعِ!!

قُبَيْلَ العُطْلَةِ الانْتِصَافِيَّةِ ـ عُطْلَةِ الرَّبِيْع ـ بينما كانَتْ عَائِلَةُ (أبي عَدْنَانٍ) مُجتَمِعَةً حَوْلَ مَائِدَةِ طَعَامِ العَشَاءِ ، تَنْتَظِرُ قُدُوْمَ رَبِّ الأُسْرَةِ مِنْ عَمَلِهِ ، إِذَا بالفَتَاةِ الذَّكِيَّةِ (سَوْسن) تَسْأَلُ سُؤَالاً: مَا هِيَ المَشَارِيْعُ الَّتِيْ

obeikandl.com

سَنَقُوْمُ بِهَا في العُطْلَةِ؟

وَدَارَ نِقَاشٌ مُفِيْدٌ؛ حَيْثُ رَاحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَفْرَادِ العَائِلَةِ يُقَدِّمُ اقتِراحاً ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ ، وَيُبيِّنُ أَهَمَّ إيْجابيَّاتِهِ.

وفي تِلْكُمُ الأَثْنَاءِ وَصَلَ (أَبُوْ عَدْنَانٍ) إلىٰ البَيْتِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ الأَوْلاَدُ بالتَّرْحِيْبِ ، بَيْنَمَا كَانَتِ الزَّوْجَةُ ، وَالبَنَاتُ يَقُمْنَ بِتَرْتِيْبِ المَائِدَةِ وَالطَّعامِ وَمَا إلىٰ هُنَالِكَ.

وَبَعْدَ تَنَاوُلِ وَجْبَةِ العَشَاء قَدَّمَتْ

(سَامِيَةُ) الشَّايَ لِلْجَمِيْعِ ، فَسَأَلَ (أبو عدنان) زَوْجَتَهُ قَائِلاً: وَفي أيِّ شَيءٍ كُنْتُمْ تَتَنَاقَشُوْنَ قُبَيْل العَشَاءِ؟ ابْتَسَمَتِ الزَّوْجَةُ ، ونَظَرَتْ إِلىٰ ابْنِهَا الكَبير (يُوْسُفَ) وَقَالَتْ لَهُ: أَجِبْ وَالِدَكَ يَا يُوسُفُ!

قَالَ (يُوْسُفُ): لَقَدْ كُنَّا نَتَنَاقَشُ حَوْلَ بَعْضِ القَضَايَا الَّتي تَتَعَلَّقُ بِعُطْلَةِ الرَّبِيْعِ؛ أَيْنَ سَنُمْضِيْهَا؟ وَمَاذَا سَنَفْعَلُ بِهَا؟ وَهَكذا.

فَقَالَ (أَبُو عَدْنَانٍ): حَقَّاً إِنَّها فِكْرَةٌ

رَائِعَةٌ ، ويَجِبُ اسْتِغْلاَلُ كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَاتِ العُمْر القَصِيْرِ...!

وَبَعْدَ مُنَاقَشَاتٍ وَأَسْئِلَةٍ وَأجْوِبَةٍ ، واقْتِراحَاتٍ اتَّفَقَ أَفْرَادُ العَائِلَةِ عَلَى الذَّهَابِ إِلىٰ إِحْدَى ضَوَاحِيْ المَدِيْنَةِ ، حَيْثُ الجَوُّ الهَادِىءُ ، وَالهَوَاءُ العَلِيْلُ ، والأَشْجَارُ ، والنَّباتَاتُ ، والأَعْشَابُ الجَمِيْلَةُ ، وَالأَنْهارُ ، واليَنَابِيْعُ... وَمَا إِلىٰ هُنَالِكَ. وَكَذَلِكَ قَرَّرُوا أَنْ يَقُوموا بَعْدَ ذٰلِكَ بِزِيَارَةِ الجَدَّةِ الكَبِيْرَةِ (أمِّ سَعْدٍ) فَهِيْ ـ كما هم ـ مُشْتَاقَةٌ

إِلَيْهِمْ ، وتَتَمَنَّى اللِّقاءَ العَاجِلَ بِهِمْ.

مَاْ أَحلىٰ حِكَايَاتِ جَدَّتِيْ!!

وَمَضَتِ الأَيَّامُ كَلَمْحِ البَرْقِ ، فَقَدْ بَدَأَتْ عُطْلَةُ الرَّبِيْع ، وَانْطَلَقَ أَفْرَادُ عَائِلَةِ (أَبِي عَدْنَانَ) إِلىٰ إِحْدَىٰ قُرَىٰ الرِّيفِ الجَمِيْلَةِ ، وَأَمْضَوا فِيْهَا يَوْمَيْنِ لاَ مَثِيْلَ لَهُمَا ، حَيْثُ إِنَّ الأَوْلادَ قَدْ لعِبُوا... وأَمَّا الكِبَارُ فَقَدْ اسْتَعَادُوا ذِكْرَيَاتِ الطُّفُولَةِ وَالشَّبَابِ.

وَبَعْدَهَا تَوَجَّهَتْ سَيَّارتُهُمْ بِاتِّجَاهِ

المَسْكَنِ الَّذي تَسْكُنُ بِهِ الجَدَّةُ ، حَيْثُ ذِكْرَيَاتُ (أَبِي عَدْنَانَ) عِنْدَمَا كَانَ صَغِيْراً.. وَشَاباً... وبَيْنَمَا كَانَ الأَبُ يُحَدِّثُ أَفْرَادَ عَائِلَتِهِ عَنْ تِلْكَ الذِّكْرَيَاتِ الرَّائِعَةِ؛ انْبَرَى (سَعِيْدٌ) يَقُوْلُ - وَبِصَوْتٍ عَالٍ -: آه مَا أَحْلَى حِكَايَاتِ جَدَّتِيْ (أُمِّ سَعْدٍ) ، فَفِيْها مِنَ العِبَرِ ، وَالعِظَاتِ ، والحِكَمِ ، والفَوَائِدِ الشَّيءَ الكَثِيْرَ... وَكَمْ أَنَا مُشْتَاقٌ لِرُؤْيَةِ قَسَمَاتِ وَجْهِها.. وَإِشَارَاتِ يَدَيْها؛ وَهِيَ تَحْكِي لَنَا وَاحِدَةً مِنْ حِكَايَاتِهَا؟!

وَبَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ أَوْقَفَ (أَبو عَدْنَانَ) السَّيَّارَة بِالقُرْب مِنْ بَابِ بَيْتِ الجَدَّةِ ، وَنَزَلَ الأَوْلادُ مُسْرِعِيْنَ بِاتِّجَاهِ البَابِ ، وَبَعْدَ قَلِيْلٍ كَانَ لِقَاءً رَائِعاً سَادَهُ جَوٌّ مِنَ الفَرَحِ والسُّرُوْرِ.

وَفِي المَسَاءِ جَلَسَ الأَوْلاَدُ حَوْلَ جَدَّتِهِمْ ، وَبَعْدَ إِلْحَاحٍ ، وَرَجَاءٍ رَاحَتْ تَرْوِيْ لهم هٰذِهِ الحِكَايَةَ المُمْتِعَةَ ، والمُفِيْدَةَ.

وَإِلىٰ جِوَارِ نَبْعَةِ المَاءِ

كَـان يَـا مَا كَـان ، كَـانَ في قَدِيْـمِ

الزَّمَـانِ رَجُلٌ يَجْـلِسُ عَلَىٰ الطَّرِيْـقِ الوَاصِلِ بَيْنَ جَبَلِ الطُّوْرِ بِسِيْنَاءَ وَبَيْنَ بَعْضِ المُدُنِ.

وَلمَّا عَادَ مُوْسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ مُنَاجاةِ رَبِّهِ اسْتَوْقَفَهُ ذَلِكُمُ الرَّجُلُ ، وَسَأَلهُ: كَيْفَ يُعِيْدُ اللهُ الحُقُوْق إلَى أَصْحَابِهَا؟!

فَأُصِيْبَ مُوْسَىٰ بِالحَيْرَةِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: عُدْ إلَيَّ في اليَوْمِ الثَّانِيْ. وَفي اليَوْمِ الثَّانِيْ ، وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ مُوْسَىٰ ـ عَلَيْـهِ السَّـلامُ ـ المُنَـاجَـاةَ ، تَـذَكَّـر

سُؤَالَ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَسَأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ قَائِلاً: يَا رَبِّ! كَيْفَ تُعِيْدُ الحُقُوقَ إِلىٰ أَصْحَابِهَا؟!

فَأَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: تَأَدَّبْ يَا مُوْسىٰ! اصْعَدْ ذَاْكَ الجَبَلَ؛ فَسَتَجِدْ نَبْعَةً فِيْهَا مَاءٌ ، وَإِلىٰ جِوَارِ النَّبْعَةِ شَجَرَةٌ عَظِيْمَةٌ ، فَاذْهَبْ إِلى هُنَاكَ ، وَشَاهِدِ الحَدَثَ!

....فَانْطَلَقَ مُوْسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِلى قُرْبِ نَبْعَةِ المَاءِ ، ثُمَّ شَرِبَ ،

واخْتَبَأَ خَلْفَ الشَّجَرَةِ ، وَرَاحَ يُرَاقِبُ مَا يَجْرِيْ.

بَعْدَ قَلِيْلٍ جَاءَ فَارِسٌ يَرْكَبُ فَرَساً ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَىٰ تِلْكَ النَّبعَةِ؛ نَزَلَ وَشَرِبَ ، وغَسَلَ يَدَيْهِ ، وَوَجْهَهُ. وَارْتَاحَ قليلاً ، ثُمَّ رَكِب فَرَسَهُ ، ونَسيَ كِيْساً كَبِيْراً فِيْهِ نُقُوْدٌ عَظِيمَةٌ.

بَعْدَ ذَلِكَ جَاءَ رَجُلٌ يَرْكَبُ خَيْلاً ، فَنَزَل وَشَرِبَ. ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُتَابِعَ السَّيْرَ ، فَرَأَىٰ كِيْسَ النُّقُودِ ، فَالتَفَتَ يُمْنَةً

وَيُسْرَةً ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَداً. فَحَمَلَ الكِيْسَ ، وانْطَلَقَ.

بَعْدَ ذَلِكَ جَاءَ رَجُلٌ عَجُوْزٌ، فَلَمَّا وَصَلَ إلىٰ النَّبْعَةِ؛ غَسَلَ يَدَيْهِ ، وَشَرِبَ ، ثُمَّ اسْتَلْقَىٰ علىٰ ظَهْرِه في ظِلالِ الشَّجَرَةِ ، وَنَامَ.

وَبَعْدَ قَلِيْلٍ أَتَىٰ الفَارِسُ صَاحِبُ الكِيْسِ لِيَبْحَثَ عَنْ كِيْسِهِ الضَّائِع ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، وَشَاهَدَ الرَّجُلَ العَجُوْزَ ، فَتَقَدَّمَ مِنْهُ وحَرَّكَهُ بِرِجْلِهِ ، فَاسْتَيْقَظَ العَجُوْزُ ، فَسَأَلَهُ الفَارِسُ عَنْ كِيْسِ

نُقُوْدِهِ ، فَأَنْكَرَ رُؤيَتَهُ لَهُ. وَحَدَثَتْ بَيْنَهُم مُشَادَّةٌ في الكَلام ، مِمَّا جَعَلَتِ الفَارِسَ يَرْفَعُ سَيْفَهُ وَيَهْوِيْ بِهِ عَلَىٰ رَقَبَةِ العَجُوْزِ ، فيَقْطَعَ رَأْسَهُ!!

وَلَمَّا رَأَىٰ مُوْسَىٰ ـ عَلَيْه السَّلامُ ـ ذَلِكَ غَضِبَ ، وَقَالَ: مَا هٰذَا؟ مَا هُوَ الذَّنْبُ الَّذيْ ارْتَكَبَهُ العَجُوْزُ حَتَّىٰ يُقْتَلَ؟!

فَأَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: تَأَدَّبْ يَا مُوسَىٰ! إِنَّ هٰذَا العَجُوْزَ قَدْ قَتَلَ وَالِدَ الفَارِسِ مُنْذُ سَنَوَاتٍ. وَهَذَا الفَارِسُ كَانَ

يَبْحَثُ عَنْهُ! وَأَمَّا الرَّجُلُ الثَّانِي؛ وَالَّذِي أَخَذَ كِيْسَ النُّقُوْدِ وَمَا فِيْهِ؛ فَهُوَ مِنْ حَقِّهِ. حَيْثُ إِنَّ الرَّجُلَ قَدْ خَدَمَ وَالِدَ الفَارِسِ لِعَدَّةِ سَنَواتٍ ، وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ ، فَكُلُّ مَا في الكِيْسِ هُوَ مِنْ حَقِّهِ ، لا زِيَادَةَ وَلا نُقْصَانَ!!

«كما تدين تُدان..»

فَسَجَدَ مُوْسَىٰ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ ، وَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ؛ قَالَ: حَقَّاً إِنَّ الله تَعَالَىٰ لا يُضِيْعُ حَقَّ أَحَدٍ ، وَإِنَّمَا يُحَاسِبُ النَّاسَ في الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ.

... هَـزَّتْ (أُمُّ عَـدْنَـانَ) رَأْسَهَـا ، وَقَرَأَتْ عَلَيْهِمْ حَدِيْثَ الرَّسُولِ ﷺ: «البـرُّ لا يَبْلَـىٰ ، والـذَّنْـبُ لا يُنْسـى ، والدَّيَّانُ لا يَمُوْتُ ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ ، كَمَا تَدِيْنُ تُدَانُ».

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ!

* * *

obeikandl.com